

مسابقة الأدب العربي

## قادة الفكر «لطه حسين»

للدكتور زكي مبارك

نموذج

كتاب «قادة الفكر» هو في الأصل بحثٌ وجيز كتبه الدكتور طه بك حسين ليكون هدية لقراء مجلة الهلال ، يوم كان لمجلة الهلال هدايا سنوية . والمؤلف يمتدح في ختام كتابه بأنه كتبه في ظروف متنوعة الألوان ، فلم يكن في جميع تلك الظروف مطمئن النفس فارغ البال . ومعنى ذلك أنه يرى محصول الكتاب دون ما يريد ، ولهذا اعتذر بمباراة حزينة تثير الإشفاق

ونحن ننوب عن الدكتور طه في تقديم هذا البحث الوجيز ، فنقول إنه تحفة أدبية وعقلية ، وإنه يشهد بقدرته على تلخيص ما يقرأ من جيد التصانيف . وكلمة «تلخيص» كلمة مدح في هذا المقام ، لأن المؤلف لم يرد أن يواجه العضلات الفلسفية مواجهة الباحث المعترم أخذ الفلاسفة بنقد ما خلفوا من حقائق وأباطيل والدكتور طه نفسه يعترف بأنه ملخص : يعترف اعتراف العلماء ، فلا يدعى أنه أجهد فكره في غير التلخيص ، ولكن أى تلخيص ؟ لقد قدم للقراء سوراً سريعة متلاحقة بأسلوب سريع لا يسمح للقراء بالوقوف لحظة من زمان هل أبخل على المؤلف بكلمة نناء فأنهم أنى قرأت كتابه في سهرة واحدة ، وأنى عشت معه لحظات أمتع من لحظات الحوار الطريف بين الندماء ؟

مزية الدكتور طه أنه يكتب كما يتحدث ، وأنه ينقل إلى قرائه ما استقر في نفسه بلا تكلف ولا افتعال

لم يبتكر الدكتور طه كتابه هذا ، إذا أردنا من الابتكار مناه المطلق ، فلكتابه نظائر في الأدب الأوربي ، وإنما ابتكره في الأدب العربي ، فهو أول كتاب لخص آراء الباحثين في طوائف من قادة الفكر الذين سيطروا على العالم القديم والعالم الحديث وتكاد تكذب الدكتور طه حين يقول إنه يلخص ، لأنه يفتزع الأبحاث بقوة توهمك أنه المفتزع الأول ، وأن كتابه سيكون المصدر لمن يتحدثون عن هوميروس أو سقراط أو أفلاطون

وهذا كلام أقوله لمنفعة قرائى ، وأنا أحب لهم ما أحب لنفسي ، ولو كان هذا الكتاب ضعيفاً لأخذت بخناق الدكتور طه بدون ترفق ، لأنى لا أجامل أحداً على حساب الفكر والبيان

## آفة الاختصاص في التلخيص

التلخيص مطلوب ، ولكنه لا يخلو من آفات ، لأنه يصد المؤلف عن تعقب من ينقل عنهم نقل الوثائق بأنهم على هدى في جميع الأقوال وقد وثق الدكتور طه بمن نقل عنهم فلم يجادلهم في رأى من الآراء

وتوضيح هذه المؤاخذة أن الدكتور طه سابر الباحثين الأوربيين في القول بأن الثقافة اليونانية هي مصدر الثقافة الإنسانية ، وأن الناس في الشرق والغرب ، وفي جميع الأجيال مدينون لثقافة اليونان

والحق أن للدكتور طه عذراً في هذه المسيرة ، فقد قرأ كتباً ترى هذا الرأى ، ولو أنه تربث لعرف أن هنالك كتباً أجدر من تلك الكتب بالتلخيص ، وهي الكتب التى ترى أن المعارف اليونانية منقولة عن المعارف المصرية ، وأن فلاسفة اليونان القدماء لم يكونوا إلا تلاميذ لفلاسفة مصر القدماء وأنا لا أسوق هذه المؤاخذة تعصباً لبلادى ، قاليونانيون أنفسهم يعترفون بأنهم تلاميذ المصريين ، وكانت زيارة مصر واجبة على كل يونانى يريد التفقه في درس أسرار الوجود أستاذية مصر الفرعونية لليونان الوثنية ليست أسطورة من الأساطير ، وإنما هي حقيقة من الحقائق . وإن أراد الدكتور طه أن يساجلنى فأنا حاضرٌ للسجال ، ومضى العقل الذى ثقفه الدكتور طه يوم كان أستاذاً بالجامعة المصرية

## هزيمة تعيسة

كان من المؤلفين بيني وبين الدكتور طه أن نتقارض الهدايا العلمية والأدبية ، قبل أن تدور الدسائس بيني وبين هذا الأستاذ الجليل ، وأنا أريد اليوم أن أقدم إليه هدية أرجو أن يتقبلها منى قال في كتابه « مستقبل الثقافة » : إن عقلية مصر عقلية يونانية ، وإنه لا بد من أن نمود مصر إلى احتضان فلسفة اليونان . وأقول إن الأفضل أن يعترف الدكتور طه بأن الفلسفة اليونانية منقولة عن الفلسفة المصرية ، وإذن يكون تقبيل مصر لفلسفة اليونان ترحيباً بآراء مصرية رجعت إلى أهلها بعد طول الشتات

## ظهور الإنسانية

أني الحق أن العقل الإنساني لم ينضج إلا في القرن الرابع قبل المسيح ؟ هذا سؤال لم يخطر للدكتور طه في بال

العقل الإنساني نضج ونضج قبل الوثنية اليونانية بأزمان وأزمان ، وكان مصدر نضجه في مصر التي سبقت اليونان بأجيال وأجيال

وأقول مرة ثانية إني لا أتعصب لبلادي ، فليقل من يعرف أكثر مما أعرف إن مصر سبقت إلى إذاعة الفكر والعقل عند القدماء ، على شرط أن يقدم البراهين

أنا لا أوجب نظرياً أن تكون مصر أول أمة رفعت أعلام الحضارة الإنسانية ، فمن المحتمل أن تكون سبقت بأمر سكت عنها التاريخ ، ولكن التاريخ المكتوب يحدثنا أن مصر أول أمة رفعت أعلام الحضارة الإنسانية ، فما الذي يمنع من أن يتلف الدكتور طه فيقول كما تقول الوثائق بأن مصر سبقت اليونان إلى رفع قواعد المدنية في أقدم عهود التاريخ .

أنا لا أبشكر وإنما أخلص ما قرأت ، بدون أن أزعج أني أقدر من الدكتور طه على التلخيص ، وإن كان من حق أن أزعج أني قرأت أكثر مما قرأ في تاريخ تلك العهود

اليونانيون تلاميذ المصريين ، والبلاد المصرية في جميع الأزمنة أخصب من البلاد اليونانية ، بدليل أن مصر كانت الملاذ لليونان في الفكر والمعيش ، ولم يثبت يوماً أن مصر احتاجت إلى الاستغلال بظلال اليونان

والتاريخ القديم يؤيده التاريخ الحديث لم تستطع اليونان بعد ظهور الإسلام أن تكون أمة تسيطر على الشرق أو الغرب ، وهي قد جهلت تاريخها القديم و جهلت مبادئ فلاسفتها القدماء ، و جهلت أيضاً لغة سقراط ، فجدها رهين بتعصب أنصارها من الأوربيين

أما مصر فقد وقفت وقفة أبيية في رد الحروب الصليبية ، وذلك موقف لن ينساه التاريخ

معذرة يا أستاذي ، فقد بدا لي أن أرد إليك بعض ما أسديت إلي من جميل

## برج الإيجاز والإطناب

أطنب الدكتور طه حين تحدث عن قادة الفكر في العصر

اليوناني ، ثم أوجز لإيجازاً غلاً حين تحدث عن قادة الفكر في العصر الإسلامي ، فهل يرى أن الصراع الفكري في عهود الوثنية كان أقوى من الصراع الفكري في العهود التي احتدم فيها النضال بين الإسلام والنصرانية ؟

يرجع السبب في الإيجاز والإطناب إلى الكتب التي كانت بين يديه وهو يؤلف كتابه اللطيف ، وأهمها كتاب ليون رويان في تاريخ الفكر اليوناني

ولو كانت الأقدار قضت بأن يظهر كتاب يؤرخ الفكر العربي لكان من المؤكد أن يصل الدكتور طه صولة القادر على شرح ما قام به العرب في رفع القواعد من الحضارة الإنسانية لقد قرر أن الإسكندر غرس الفكر اليوناني في الهند ، مع أن الإسكندر لم يلم بالهند إلا الإمامة الطيف ، فما عساه يقول لو تذكر أن الفكر العربي تغافل في أرجاء الهند ، وما زال يتغافل بفضل المذاهب الإسلامية ؟

## أهم فصول الكتاب

الفصل المكتوب عن هومروس خفيف الوزن ، ويقرب منه الفصل المكتوب عن سقراط ، ثم تجلت قدرة المؤلف على البيان حين تحدث عن أفلاطون وأرسططاليس ، وسيسأل الطلبة حتماً عن هذين العبقرين ، لأنهما المشنجان الأصيلان للفلسفة اليونانية أما الفصل المكتوب عن الإسكندر فهو عرة الكتاب ، ولعله من أجل ما كتب الدكتور طه حسين . وأهمية هذا الفصل ترجع إلى براعة المؤلف في تصوير قدرة الفلسفة حين تنتقل إلى الميادين العملية ، وكذلك يقال في الفصل الخاص بجيروت بوليوس قيصر ، وما استطاع أن يصنع في إبقاء الرومان والفصل الخاص بالعصر الحديث موجز جداً ، ولكنه جيد ، ففيه لمحات فكرية على جانب من الجمال

أما بعد فكتاب « قادة الفكر » أوضح من أن يحتاج إلى توضيح ، وأنا أوصي الطلبة بأن يقرأوه مرات ، لأن محصولة مبدد غاية التبديد ، ولا يمكن إدراك مرأى المؤلف إلا بعد طول النظر فيما يتر من المعاني هنا وهناك

وأنا حاضر أشرح ما يستغلني على الطلبة الذين يختارون هذا الكتاب للامتحان الشفوي .